مقـــدمـــــة

تشعبت المناهج النقدية في الآونة الأخيرة تشعبا ملحوظا ، إلي الحد الذى جعل المنهج الواحد ينحو عدة مناهج ، كان هذا نتيجة طبيعية لروح العصر الذي يتسم بالتخصصية الشديدة ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى مرجعه التقدم الكبير الذي شهدته اللسانيات المعاصرة والدرس اللغوى بشكل خاص. و قد كان للمنهج الأسلوبي نصيب من ذلك .

فالمنهج الأسلوبى – عند معظم النقاد – هو الوريث المعاصر للبلاغة العربية - بمفهومها التقليدى – فنجد جاكبسون يتحدث عن الأسلوبية بقوله أنها " بحث عما يتميز به الكلام الفنى عن بقية مستويات الخطاب أولا ، و عن سائر الفنون الإنسانية ثانيا " [١]

من هنا كان اعتماد البحث الأسلوبى – فى المقام الأول – على المنهج الوصفى ، حتى أطلق عليه بعض النقاد اسم " الأسلوبية الوصفية " أو " علم الأسلوب الوصفى " فجاءت وظيفة الباحث الأسلوبى " ليبحث عن ظواهر أدائية في سياقات معينة ، و ما لتلك التنظيمات اللغوية من سمات فنية ، وما لأثر التغيرات و التحولات على اللغة من ناحية منحها قدرات إبداعية " [٢]

فالبحث الأسلوبي غالبا ما يبدأ " بدراسة الكلمة من الناحيتين الصوتية و المعنوية ، وينتهى بدراسة أنواع الجمل ، و ايقاع العبارة .

و الرعيل الأول من علماء الأسلوب ، يرون أن الدراسة الجزئية ... ليست إلا طرقا للوصول إلى هذا الهدف النهائى [٣] فموضوع هذا المنهج هو الأسلوب ، و المادة هى اللغة .

و رغم كل الانتقادات التي وُجهت إلي المنهج الإحصائى [*] فإن الباحث قد استعان بالإحصاء في كثير من مباحث الدراسة ، بهدف تحقيق أكبر قدر من الموضوعية .. " و الذى لا شك فيه أن المنهج الإحصائي أصبح صاحب اليد الطولي في مجال الأسلوبيات باعتباره نموذجا للدقة العلمية التى لا تترك مجالا لذاتية الناقد أو الباحث كى تنفذ إلى العمل الأدبي " [٤] إذ يمثل الإحصاء كيمياء الأسلوب و " قد تكشف الإحصاءات في بعض الأحيان عن ظواهر

---

١) د . عبد السلام المسدى : الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط ٢، تونس ١٩٨٢ صـ ٣٧

٢) د . رجاء عيد: **البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط ١، ١٩٩٣، صـ ١٤**

٣) د . شكرى محمد عياد : مدخل إلي علم الأسلوب ، دار العلوم للطباعة و النشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٧ صـ ٦٢

*) انظر د . صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، دار الشروق ، ط ١ ، صـ ٢٧١ و د . محمد حماسة عبد اللطيف النحو و الدلالة ، مطبعة المدينة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٤ صـ ١٧٤

٤) د . محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان القاهرة ، ، ط ١ ، ١٩٩٤ صـ ١٩٨

غير عادية بالنسبة لتوزيع العناصر الأسلوبية ، و هذا ما يؤدى إلى طرح مشاكل ذات صيغة جمالية" [1]

لذا كان الإحصاء أحد الآليات الهامة التى انطلق منها الباحث لدراسة الخصائص الأسلوبية للخطاب الشعرى عند ابن خفاجة .

و الدراسات القديمة عن ابن خفاجة قليلة .. عبارة عن نتف تناقلتها كتب الأدب ، مثل : ابن بسام . صاحب " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " الذى أثنى كثيرا على شعره ، و ضمن عددا كبيرا منه في موسوعته .

و حديثا كان لابن خفاجه وشعره نصيب عند د. الطاهر أحمد مكى فى كتابه " دراسات أندلسية" [2] و د . شوقي ضيف فى كتابه " الفن و مذاهبه في الشعر العربى " [3] و د. إحسان عباس فى كتاب " تاريخ الأدب الأندلسى – عصر الطوائف والمرابطين " [4] ود. مصطفى الشكعة فى كتابه " الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه "[5] ومن هذه الدراسات كتاب " ابن خفاجه الأندلسى .. حياته وشعره "[6] لعبد الرحمن جبير بالجزائر إلا أن هم الكتاب كان منصبا على سرد حياة ابن خفاجة وتحليل الجوانب المختلفة لعصره ، لكنه فى عجالة سريعة قام بسرد أهم ألوان الأغراض الشعرية عند الشاعر . وهو بهذا يختلف كثيرا عن كتيب آخر كتبه د. محمد رضوان الداية بعنوان " حياة و آثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة " [7].

أما كتاب الدكتور يحي نبوى خاطر " عناصر الإبداع الفنى فى شعر ابن خفاجة "[8] فيعد بحق أهم ما ألف عن الشاعر وعصره من ناحية وأوفى دراسة منهجية لشعره من ناحية أخرى . ويقع هذا المجلد فى (ستمائة و إحدى و ستين) صفحة تناولت العديد من الخصائص الفنية لشعر ابن خفاجة على المستوى الصوتى و المعجمى و التركيبى . ويلحظ القارئ ما بذل فى هذه الدراسة من مجهود وافر يجعلها بحق نموذجا للدراسات الفنية الحديثة .

إلا أن أحدا لم يطرق شعر ابن خفاجة من الوجهة الأسلوبية حتى الآن ، وهو توجه سيكشف الكثير من خبايا هذا الشعر. لذا فقد حاول الباحث أن يتلمس طريقا إلى هذه الدراسة ، لتكن شاملة شعر ابن خفاجة ، وتحقق قدرا كبيرا من الموضوعية اعتمادا على المنهج الأسلوبى الوصفى لكشف خصائص الخطاب الشعرى عند ابن خفاجة .

---

١) د / صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص ٢٧٢
٢) صدر عن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧
٣) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢
٤) دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٧
٥) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦
٦) الشركة الوطنية ، بالجزائر ، ١٩٧٤
٧) دار قتيبة ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٢
٨) منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ط١ ، ١٩٩٩

و قد جاءت الدراسة في ثلاثة أبواب ، سبقت بمدخل تناول مفهوم الخطاب في مستوييه العادي و الشعري و المقارنة بينهما ، ثم أعقبها بخاتمة ضمت نتائج البحث .

الباب الأول :

يعنى بدراسة المستوى الموسيقي ، و قد قسمه الباحث فصلين :

- **يتناول الأول :** " موسيقى الإطار " أو وحدات التشكيل النغمي الخليلية على مستوى البحور و القوافي ، و قد ضمّن الباحث هذا الفصل بالإحصاءات و الجداول اللازمة، وأثبت وعي الخفاجي بخصائص البحور و القوافي .. و عيا ينم عن أصالة و إبداع حقيقيين
- **أما الفصل الثاني:** فقد ضم " موسيقى الحشو " أو الموسيقى الداخلية في النص الخفاجي ، و قد صدّر الباحث الفصل بمدخل يتضمن دور موسيقى الحشو في خطاب الشاعر . من خلال بعض الظواهر الأسلوبية على مستوى العلاقات الوفاقية و العنادية . و قد اكتفى الباحث بأهم و أكثر الظواهر شيوعا في شعره و هي :

١) رد الأعجاز على الصدور ٢) التصريع

٣) الترصيع ٤) اللف و النشر

و قد حاول الباحث تجاوز النظرة التقليدية لهذه الظواهر – التي تقصر دورها لتحيلها إلى وسائل تعبيرية للتزويق و التزيين الشعري – إلى الكشف عن دورها في الخلق و التشكيل الشعري للتجربة ، إيمانا من الباحث بكونها وسائل هامة للتأثير على المتلقي يلج من خلالها إلى عالم التجربة الشعرية .

الباب الثاني :

خصص لدراسة المستوى التركيبي ، و قد قسمه الباحث ثلاثة فصول تناول كل منها ظاهرة تركيبية أصيلة عند الشاعر .

- **الفصل الأول :** تناول ظاهرة التقديم و التأخير ، و هي أكثر الظواهر التركيبية انتشارا في ديوان الخفاجي . و قد وقف الباحث عن أنماط عديدة للتقديم و التأخير في خطابه مع تنوع دلالات هذه الأنماط تبعا لسياق الخطاب و التجربة .. كتقديم الجار و المجرور ، أو تقديم الظرف، و تقديم المفعول به أو الفاعل . و تناول الفصل كذلك أهم ظواهر التأخير عنده مثل : تأخير الفاعل و نائب الفاعل و الخبر و مقول القول .
- و في نهاية الفصل خصص الباحث دراسة خاصة لبحث التقديم و التأخير في التركيب الشرطي من خلال تقديم جواب الشرط ، تأخير جواب الشرط .

- **الفصل الثاني :** تناول مبحث الاعتراض ، و قد عرض لأهم ظواهره من خلال سبع ظواهر أساسية ضمها خطابه الشعرى و هى :

١) الاعتـــراض بيـــن عناصر الجملة الفعلية .

٢) الاعـــتـــراض بين عناصر الجملة الإسمية .

٣) الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة .

٤) الاعتـــراض بيـــن النعـــت و المنعـــوت .

٥) الاعـــتراض بيـــن القـــول و مقول القول .

٦) الاعتـــراض فـــى التـــركيـــب الشرطى .

٧) نـــزعات أخرى للاعتراض .

الفصل الثالث : خصصه الباحث لدراسة الحذف . من خلال أربعة مستويات للحذف :

١) حذف العمد " العناصر الأساسية "

٢) حذف الفضلات " المكملات "

٣) حذف الحروف " الأدوات "

٤) الحذف فى التركيب الشرطى

- و الباحث إذ يتناول هذه الظاهرة بالدراسة يتناول كلا من المحذوف و المذكور معا ، إيمانا بدور كل منهما فى تشكيل أبعاد الدلالة و مستويات المعنى المختلفة .

أما الباب الثالث :

فقد خصص لدراسة الصورة الشعرية ، متجاوزا النظرة الجزئية البيانية ، و منطلقا منها إلي الرؤية الكلية التي تشملها فى تكاملها الإبداعى داخل الخطاب الشعرى ، انطلاقا من كونها موازاه رمزية للعالم الخارجى . لذا فقد جاء هذا الباب فى ثلاثة فصول : تناول

- **الأول :** أهم المحاور الدلالية للصورة ، و هى : الطبيعة و الزمن و الحرب و الخمر . انطلاقا من أن الأسلوب ليس مسألة تكنيك بقدر ما هو رؤية لصاحبه ، يحمله تصوره للعالم كما يحمل تصور العالم له .
- بينما تناول **الفصل الثاني :** آليات بنية الصورة ، و هي وسائل تعبيرية أسلوبية يبتكرها الشاعر لترفع من قدرة الخطاب و طاقته على النفاذ و التأثير فى المتلقى ، من خلال أربع آليات رئيسية (توالي الصور – التشخيص – التجسيم – المفارقة التصويرية) ، وهى آليات لها قدرة خاصة على كشف طبيعة الصورة في خطابه الشعرى .

- **أما الفصل الثالث** : فقد خصصه الباحث لرصد أهم السمات الأسلوبية لصورة ، انطلاقا من شمولية الأداء و تأكيدا على تكامل المستويات الأسلوبية فى خطابه الشعرى .
- و فى الخاتمة عرض الباحث أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، و أعقب ذلك بقائمة تفصيلية لمراجع البحث و مصادره .

و ختاما أرجو التماس العذر عما وقعت فيه الدراسة من خطأ أو نقص ، فما وُفقت فيه فمن الله .. و ما أخطأت فمن نفسى .. و فوق كل ذى علم عليم .